

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين في كتابه «مسائل الجاهلية» :
المسألة الثالثة عشر : الغلو في العلماء والصالحين كقوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] .

قال رحمه الله تعالى : «المسألة الثالثة عشرة: الغلو في العلماء والصالحين» ؛ هذه المسألة الثالثة عشرة من مسائل الجاهلية التي جاء الاسلام بمخالفتها والتحذير منها ؛ الغلو في العلماء والصالحين .
الغلو: هو تجاوز الحد وتعديه في حق أهل العلم وفي حق أهل الصلاح من العباد ، وتجاوز الحد بهؤلاء بأن يعطوا من الخصائص والصفات ما ليس للعباد ، وأن يُنزل العبد فوق منزلته ، ولهذا صح في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها)) ، فالعبد إذا رُفِع فوق منزلته وأُعطي من خصائص الرب وصفاته فهذا غلوٌ باطل مهلكٌ لصاحبه ، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) .

والغلو في العلماء والصالحين: يكون من جهة إعطائهم شيء من خصائص الله تبارك تعالى؛ كالتصرف والتدبير ونحو ذلك ، أو إعطائهم شيء من صفات الله تبارك وتعالى؛ كالعلم بما كان وما سيكون والاطلاع على ما في الصدور، أو بصرف شيء من العبادة لهم؛ كدعائهم والاستغاثة بهم والتوكل عليهم ونحو ذلك من العبادات ، فهذا كله غلو باطل . وأيضاً يدخل في الغلو : الإطراء والزيادة في المدح ، قد قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله)) .

فحذّر رحمه الله تبارك وتعالى من هذه الخصلة التي كانت فيمن قبلنا وأخبر نبينا عليه الصلاة والسلام أنها كانت سبب هلكتهم ، وساق رحمه الله آية واحدة من كتاب الله عز وجل في التحذير من الغلو وهي قول الله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ، والشاهد من الآية: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ ؛ وهذا عام يتناول كل صورة من صور الغلو في الدين ، ومن ذلكم الغلو في العلماء والعباد .

وهذا الأمر الذي حذّر منه ربنا جل وعلا في القرآن الكريم وحذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة وُجد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعله؛ تحقيقاً لما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) ، وُجد من حصل منه الغلو سواء في العلماء أو في العباد والأولياء والصالحين من عباد الله ، وأصبح يُعتقد في هؤلاء ويُعطون من الصفات والخصائص ما لا يكون إلا لله تبارك وتعالى . ومن يطالع كتب المبتلين بالقبورية والضلال يراها طافحة بهذا الذي حذّر منه النبي صلوات الله وسلامه عليه .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي: النفي والإثبات ؛ فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عن ما جاءت به الرسل .

ثم ذكر رحمه الله المسألة الرابعة عشرة وهي : أن كل ما تقدم أي من أنواع الاستدلالات التي كان عليها هؤلاء وأنواع العقائد والمذاهب التي كانوا عليها ، يقول «كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والإثبات» ؛ والمراد بالنفي: أي نفي الحق وردّه كيفما اتفق بأي طريقة كانت ، والإثبات: إثبات الباطل بأوهى الحجج وبما لا حجة فيه ولا برهان . فكل ما تقدم مبني على النفي والإثبات ، أي أن القوم ماضون على عقائد باطلة وأديان فاسدة لا يفكرون ولا يعتبرون ولا يتفكرون ولا يتعظون ، الحق يعتقدون الحق هو هذا الذي هم عليه ، وما سواه ينفونه هكذا بلا حجة ولا برهان ، فهم كل ما تقدم مبني على النفي والإثبات بمعنى: أن القوم على عقائد من أفسد ما يكون لكن طريقتهم في الاحتجاج والاستدلال: نفي الحق كيفما اتفق ، وإثبات الباطل بأي طريقة كانت ؛ هذه طريقة هؤلاء في الاحتجاج .

قال: «فيتبعون الهوى والظن» وهذه طريقتهم في الإثبات ، «ويعرضون عن ما جاءت به الرسل» وهذه طريقتهم في النفي ؛ الإثبات الذي عندهم قائم على الهوى والظن ، والنفي الذي عندهم قائم على الإعراض عما جاءت به الرسل ، معرض عنه لا يسمع ينفيه هكذا بدون أن يسمع ، يقول: هذا الذي جاءت به الرسل هو باطل ، هل سمعت الدليل؟ هل وقفت على الحجج؟ هل رأيت البراهين؟ فينفي ينفي كل ما جاءت به الرسل ويعتقد أنه باطل، ويرى أن الذي جاء به أو الذي عنده أو الذي يعتقدوه هو الحق وليس عنده عليه أي حجة أو برهان! فهذه طريقة جاهلية كان عليها أهل الجاهلية وجاء الإسلام بالتحذير من هذا المسلك الوخيم .

قال : «فيتبعون الهوى والظن» وذلك كما في قوله عز وجل بعد أن بين بطلان عبادة الأصنام اللات والعزى ومناة قال جل وعلا في ذلك السياق: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ

الْهُدَى ﴿النجم: ٢٣﴾ : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ هذه كما قدمت هي طريقتهم في الاحتجاج والاستدلال ؛ إتباع الظن وما تهواه النفس ، والعلماء يقولون: إتباع الباطل يكون إما عن علمٍ من متبع الباطل أو عن جهل؛ فإن كان عن علم فهو إتباع للهوى ، وإن كان عن جهل فهو إتباع للظن . ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ ؛ «إن يتبعون إلا الظن» أي في الأمور التي لا يعلمونها ، «وما تهوى الأنفس» أي في الأمور التي يعلمون أن ما هم عليه باطل، فهم أهل إتباع للهوى ، ولهذا قال جل وعلا في آية أخرى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] ، إذا كانوا غير مستجيبين لك فهم متبعين للهوى ، إذا كان يسمع الحق ويرى الحجج والبيانات ولا يستجيب هذا متبع للهوى.

فإذاً هذه طريقة هؤلاء في الاستدلال: إتباع الظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، وإتباع للأهواء؛ أي: ما تميل إليه نفوسهم الفاسدة وأهوائهم الكاسدة ، وفي الوقت نفسه إعراض تام عن الهدى وعدم قبول له. ولهذا قال رحمه الله تعالى : «فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عما جاءت به الرسل» ؛ لا يسمعون ولا يتواصون بعدم السماع ويتواصون بالإعراض عما جاءت به الرسل ، ويحاولون أيضاً سد باب السماع لما جاءت الرسل سماع الناس لهم بأي طريقة ، ولهذا كثر وصفهم للنبي عليه الصلاة والسلام بالصفات المنفرة ؛ قالوا ساحر ، قالوا كاهن ، قالوا مجنون ، إلى آخر ذلك ؛ لأنهم أرادوا ألا يسمع أحد من الناس لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولما جاء به من الحق والهدى .

قال رحمه الله:

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن إتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] ، وقوله: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْنَا كَيْثَرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١] ؛ فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم وأن الطبع بسبب كفرهم .

قال رحمه الله : «المسألة الخامسة عشرة: اعتذارهم عن ما آتاهم الله بعدم الفهم» ؛ هذا مسلك من المسالك التي يجيبون بها عندما يعلنون عدم استجابتهم لما جاءت به الرسل من الحجج والبيانات والدلائل الواضحات على وجوب إخلاص الدين لله تبارك وتعالى ، فيقولون : لا نفهم ، من الأشياء التي يسلكونها يقولون لا نفهم هذا كلام غير واضح لم نفهمه ، هذا كلام غامض غير واضح لا نفهم هذا الكلام ، يقولون ذلك لرد ما جاءت به الرسل معتردين بأن هذا الذي جاءت به الرسل بزعمهم غير واضح ولا بَيِّن ، مع أن ما جاءت به الرسل أوضح الواضحات وأبين البيّنات ، جاءوا بالبراهين الواضحة والحجج الساطعة التي فيها الضياء والنور وفيها الحق والهدى

، لكن هذه من أنواع المغالطات والدعاوى الزائفة التي يدّعيها هؤلاء في ردهم للحق والهدى الذي جاءت رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه .

يقولون في رد ما أتت به الرسل : أننا لا نفهم هذا الكلام ، ويقولون: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ ، والقلوب الغلف: هي التي عليها أغلفة، بحيث لا ينفذ إليها الحق ولا يصل إليها مغلقة؛ هذا هو القلب الأغلف الذي عليه غلاف عليه غطاء ولا يمكن أن يصل إليه حق أو هدى للغطاء الذي على قلبه . ولهذا لما تأتيتهم الدعوات والحجج والبيانات يقولون: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: قلبنا عليه غلاف ، كل هذا الشيء الذي تقولونه وتدعوننا إليه ما ينفذ إلى قلوبنا لأن على قلوبنا أغلفة تحجب سماعتنا لهذا الحق ؛ هكذا يقولون.

وأيضاً يقولون هذه الكلمة بعبارات مختلفة تؤدي إلى مؤدى واحد ؛ مثل ما قال قوم شعيب: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ ، قالوا هذه الكلمة مشعرين بأنهم غير مستجيبين مدّعين أنهم لم يفقهوا كلامه ولم يتضح لهم مراده ، مع أن عناية الرسل بإيضاح الكلام وبيانته وتحليلته للناس كانت أعظم عناية ، ومن دعاء نبي الله موسى عليه السلام قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨] كانوا على عناية تامة عظيمة ببيان القول وإيضاحه حتى يكون واضحاً يفقه ويفهم ، قد بينوا البيان المبين ، وأقاموا الحجج ، وأوضحوا دين الله تبارك وتعالى تمام إيضاح ، لكن هؤلاء معرضين عن الحق ، لا نفقه كثيراً مما تقولون، قالوا قلوبنا غلف .

يقول المصنف رحمه الله تعالى: «فأكذبهم الله أكذبهم الله» أي: بين كذبهم في قولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ .

قال: «فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، وأن الطبع بسبب كفرهم» بين تبارك وتعالى أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع على القلوب له سبب وهو: كفرهم وإعراضهم عن الحق؛ ولهذا قال جل وعلا في قولهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ [النساء: ١٥٥] ، وسبب الطبع على القلوب: هو كفرهم بالله تبارك وتعالى ، ولهذا استمرار الكفر واستمرار الإنسان عليه يؤدي إلى الطبع على القلب ، ويصبح القلب مغلق كالقلب الذي عليه غلاف وأحاطت به أغشية؛ فلا يسمع حقاً ولا يهتدي بهدى ، قال : «فأكذبهم الله جل وعلا وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، وأن الطبع بسبب كفرهم» .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة عشرة : اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر ، كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿بَدَّلَ فِرْقَانِ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ ﴿ [البقرة: ١٠١-١٠٢] .

ثم ذكر المسألة السادسة عشرة : «اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر» أي: جعلوا لأنفسهم عوضاً عن ما جاءت به الرسل من الوحي المبين والهدي القويم والكلام المنزل من رب العالمين، جعلوا لأنفسهم عوضاً عن ذلك كتب السحر كتب الطلاسـم والشعوذة والدجل والباطل ، فأخذوا تلك الكتب ونبذوا كلام الله واعرضوا عنه ، وأخذوا بدلاً منه كتب السحر وما تتلوه الشياطين من الضلال والباطل أخذوا ذلك بدل الكلام المنزل من رب العالمين تبارك وتعالى ؛ وهذا نهاية الخسران والعياذ بالله .

وساق رحمه الله تعالى الدليل على ذلك قال: ﴿بَدَفِرِيقُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وقال عز وجل قبل ذلك قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَفِرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ؛ قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ هذا هو اعتياضهم عن ما جاءت به الرسل بهذا الذي تتلوه الشياطين على ملك سليمان . وملك سليمان جاءت الشياطين بكتب تلك فيها السحر والباطل ودفنتها تحت كرسيه ، أخفتها تحت كرسي سليمان كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين ، ثم لما مات سليمان قالت لهم الشياطين : تعالوا إلى الحكمة إلى العلوم النافعة أنظروها تحت كرسي سليمان ، فحفروا عنه ووجدوها ؛ فأخذوا هذه الكتب التي وضعتها الشياطين وتلتها الشياطين وتركوا الحق الذي جاء به سليمان من عند الله تبارك وتعالى! وبرأ الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان من هذه الكتب الباطلة ، لأنهم ادَّعَوا أن هذه هي كتبه التي ملك بها الدنيا ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ برأ الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان من ذلك .

وانتبه هنا إلى فائدة عظيمة القدر ألا وهي: أن صيغة التبرئة لسليمان من هذا الذي تُسبب إليه وهي كتب السحر جاءت صيغة التبرئة بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ؛ وهذا يفيد أن من يأخذ كتب السحر ويتعلم السحر يكفر بالله تبارك وتعالى ويكون كافراً بالله ، لأن الله سبحانه وتعالى برأ نبيه سليمان من هذه الكتب كتب السحر بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ، فأفاد ذلك أن من تعلم السحر فهو كافر بالله العظيم ، ولهذا أيضاً قال بعدها بقليل: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ .

ثم إن هاتين الآيتين فيهما تنبيهٌ إلى أمر مهم جداً يبيّن الخطورة البالغة التي عليها أهل السحر ألا وهي: أن الرجل لا يكون ساحراً ولا يمكن أن يكون ساحراً إلا بأمرين ، فإذا وجد فيه وجد السحر ، وإذا لم يوجد فيه لم يوجد السحر، وكفى بذلك دلالة على شناعة السحر وقبحه ؛ أمران دلت عليهما الآيتان :

● الأمر الأول : لا يكون الساحر ساحراً إلا بنبد القرآن ونبد كلام الله تبارك وتعالى ، وكلما كان نبذه لكلام الله تبارك وتعالى أشد كان تمكنه في السحر أقوى ، ولهذا من يريد أن يتعلم السحر يقول له من يعلمه: أنبد القرآن ، وكلما كان نبذك للقرآن أشد كنت أقوى في السحر! ولهذا بعضهم يطلب مما يتعلم السحر أن يلقي القرآن في القاذورات مثلاً والعياذ بالله ، أو يضع عليه العذرة والعياذ بالله ، أو يطأ القرآن بقدميه والعياذ بالله ، أو نحو ذلك من الامتهان للقرآن والنبد للقرآن تقرباً للشياطين بذلك ، أو أيضاً يقال: اكتب القرآن بدم الحيض أو بالنجاسات أو غير ذلك من الأمور ، كلما كان نبذه للقرآن أشد كان ذلك أعظم تقرباً للشياطين ورضاً منهم به . هذه الخطوة الأولى.

● والخطوة الثانية التي يكون بها ساحراً : أن يتبع الشياطين في كل ما يدعونه إليه وأن يكون مستسلماً لا يرفض لهم أي طلب ، ولهذا قال: ﴿بَذَرْتُ مِنَ الذِّينِ أَوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هذه الخطوة الأولى ، والخطوة الثانية ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾

وقد حدثني رجل من إحدى الدول: أن جاراً له ساحر ومن أهل الكهانة والسعوذة وكانت تأتيه أموال يرفع مخدته ويخرج منها أموال طائلة، يقول فجلست عنده يوم وأنا ممن يترددون عليه أيام جهل وضلال ، يقول فقلت له أنا جارك وأنا فقير وأنت عندك هذه الأموال وأنت ليس عندك ميراث ولا عندك تجارات ولا عندك أعمال؛ فهذه الأموال من أين تأتيك؟! أنا أريد أن تدلني على طريقة ، قال فدلني على طريقة قال تفعلها إذا فعلتها تكون مثلي ، ولكن أنا أطلب منك طلباً أن كل شيء يقال لك تنفذ ما تتردد في أي أمر موافق؟ قال نعم أكد عليّ هذه القضية أي شيء يطلب منك تنفذ ، يقول أنا وافقت لحاجتي لكن ما ظننت أنهم سيطلبون مني أمور عظام! يقول وكنت مما كنت محافظ عليه من صغري أشد المحافظة الصلاة ، يقول لا يمكن أن أساوم عليها ، يقول فأول ما طلبوا مني في طريقة شرحها لا حاجة لنا بها ، يقول فأول شيء طلبوه مني قال تترك الصلاة! قلت: لا، كل شيء إلا الصلاة فانفصلت منهم ونجاني الله تبارك وتعالى بالصلاة التي كنت أحافظ عليها.

فطريقة هؤلاء في تعلم السحر تكون بأمرين : نبذ القرآن وامتهانه واحتقاره وإلقائه ، وإتباع ما تتلوه الشياطين إتباعاً تاماً بدون أي تردد أو إباء ؛ وهو كفرٌ بالله تبارك وتعالى . فانظروا إلى ضلال أولئك انظروا إلى ضلال أولئك كيف أنهم أعرضوا عن القرآن واتبعوا ما تتلوه الشياطين والعياذ بالله .

وسبحان الله!! ترى وجه شبه بين هؤلاء وبين كثير من الجهال والطغام والعوام ولا سيما في الضوابط والأمراض وشدة الأسقام، تجد بعضهم يعرض عن القرآن الذي فيه الشفاء ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] يُعرضون عن القرآن هذا الذي هو كتاب الشفاء ويذهبون الى الساحر الفلاني والمشعوذ الفلاني يطلبون من جهتهم شفاء ، ثم ينفذون لهم ما يريدونه حتى ولو كان الذي يريدونه شركاً بالله!! ولهذا بعض هؤلاء السحرة عندما يأتيه المريض من أجل العلاج يقول له: تذبح ديكاً في المكان الفلاني ولا تسمي ، لا تذكر اسم الله عليه أو تذبح شاة أو تذبح كذا إلى غير ذلك من الأمور، فيعرضون عن كتاب الله عز وجل ويقبلون على ما تتلوه الشياطين وما يدعو إليه السحرة والكهنة والمشعوذين ويُعرضون عن دين الله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

السابعة عشرة : نسبة باطلهم إلى الأنبياء كقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿مَا كَانَ

إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] .

هذه طريقة أيضاً من جاهلية هؤلاء ؛ أنهم ينسبون باطلهم إلى الأنبياء، وذلك من أجل الترويج للباطل الذي عندهم، ولهذا لاحظ لما أراد أولئك أن يروجوا للسحر وكتب السحر روجوا لها وأيضاً الشياطين كانت من وراء ذلك روجوا لها بأن هذه الكتب من؟! كتب سليمان! روجوا لها بين الناس بأن هذه كتب سليمان وجدناها تحت كرسيه ، وزعموا أن سليمان ملك الدنيا بهذه الكتب ، فروجوا لباطلهم بمثل هذه الدعاوى الزائفة بنسبة هذا الباطل إلى الأنبياء؛ ولهذا برأ الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان قال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي أن هذا الذي نسبته هؤلاء إلى سليمان ؛ سليمان عليه السلام برأ منه ،وهي كفر بالله، وسليمان عليه السلام مبرأ من الكفر.

أيضاً نظير ذلك ادعاء اليهود أن إبراهيم يهودياً ، وادعاء النصارى أن إبراهيم نصرانياً ، كلٌ منهم يدّعي أن إبراهيم كان على الدين الذي هم عليه، وبرأ الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم الخليل وبين أنه حنيف مسلم وأنه لم يكن من المشركين ، برأه من ذلك كله.

وهنا تعجب من هذه النسبة! ينسبون إبراهيم الخليل عليه السلام إلى اليهودية والنصرانية ، والتوراة والإنجيل لم تنزلا إلا من بعده! ومع ذلك يقولون هذا الكلام من أجل ترويج الباطل وترويج الضلال الذي هم عليه ؛ فهذه طريقة ومسلك من مسالك أهل الضلال.

وهنا أيضاً تنتبه إلى أمر : أنهم ينسبون إلى المعظمين والأكابر ما هم منه برءاء من عقائدهم وأديانهم من أجل أن

تروج، وهذا الأمر بعينه موجود ، ونبينا عليه السلام قد قال: ((لتبعن سنن من كان قبلكم)) ، الآن أصحاب الباطل على اختلاف عقائدهم وتنوع أباطيلهم وأضاليلهم إذا سألتهم قلت لهم هذا الدين الذي تعتقدون ما هو؟ هل هو بدع أو سنن؟ أي صاحب بدعة وأي صاحب ضلالة إذا سئل وقيل له هذا الدين الذي تعتقده والمذهب الذي تنتحله ما هو؟ هل هو من البدع والضلالات أم من السنن والحق والهدى؟ أي شيء يقول؟ كل صاحب باطل سيقول هذا هو الحق وهذا هو السنة وهذا هو الدين القويم ، ما يوجد صاحب باطل يدعو إلى باطل ويقول هذا باطل! ما يوجد . هل رأيتم أو سمعتم عن أحد يقول هذه بدع وضلالات وأباطيل وأدعوكم إليها وأود أن تعتنقوها؟ ما أحد يقول ذلك. كل صاحب ضلال ينسب ضلالة إلى إلى الأنبياء . هناك كتب معروفة عند أهل العلم اسمها «كتب الموضوعات» مليئة بالأحاديث التي كُذبت على من؟ على النبي عليهم الصلاة والسلام من أجل ترويج الباطل ، حتى الشرك الصراح والكفر البين الذي بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم جاءوا بأحاديث وضعوها على النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن يروجوا ذلك ؛ مثل قول أحد المشركين عبدة الأوثان قال: قال صلى الله عليه وسلم "من اعتقد في حجر نفعه" ؛ هذا وضعه مشرك من أجل أن يروج للشرك ويروج للباطل. وآخر من هؤلاء يقول: قال صلى الله عليه وسلم "إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور" ؛ كل هذه الأمور يأتون كذباً وافتراءً وينسبونها إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن يروجوا باطلهم ، يقولون: قال صلى الله عليه وسلم "إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور" ؛ النبي صلى الله عليه وسلم سُمع عنه قبل أن يموت بلحظات يقول : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ؛ يحذر مما صنعوا صلوات الله وسلامه عليه ، ثم يأتي الأفاكين المفترين من عبدة القبور ومن أهل الشرك والضلال وينسب إليه عليه الصلاة والسلام مثل هذه الأكاذيب ومثل هذه الأباطيل التي يبرأ وينزه عنها كل مسلم ، فضلاً عن عالم ، فضلاً عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

هذه طريقة معروفة عند أهل الباطل وأهل الضلال ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه ما لم يقل ، حتى لو نظرت في فروع العقائد وتفصيل الاعتقاد تجد هناك أحاديث كُذبت من أجل ترويج الباطل . أضرب مثلاً: من العقائد الثابتة في القرآن والسنة ودلائله في القرآن والسنة كثيرة أن الإيمان يزيد وينقص ، القرآن فيه آيات كثيرة تدل على زيادة الإيمان: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والسنة جاءت مصرحة بنقص الإيمان وضعفه ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)) ، ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) ، ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين)) النصوص واضحة . فبعض أهل العقائد الباطلة في هذا الباب يعتقدون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فكذب بعضهم على النبي صلى الله عليه

وسلم في أحاديث في هذا الباب وساقوا إسناداً مركباً مختلفاً جاء في نهايته قالوا : أن وفد عبد القيس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه قالوا هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال : "لا ؛ زيادته كفر ونقصانه شرك" . كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاق وافتراء ، ومثل هذا كثير .

وهناك أناس لا يتورعون ولا يخافون الله ما يبالي يقول قال صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه ما قال ذلك ، ولهذا جاء في هذا الباب وعيد شديد من النبي عليه الصلاة والسلام قال فيه: ((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) ، وجاء عنه في هذا الباب أحاديث كثيرة؛ لماذا ؟ هذا سدّ لهذا المسلك ، وأن أهل الباطل من أجل ترويج باطلهم يقولون هذا دين النبي عليه الصلاة والسلام وهذا الذي دعا إليه صلى الله عليه وسلم ، ولهم في ذلك طرق في نسبة باطلهم إلى الأنبياء ؛ من الطرق: وضع الأحاديث ، ومن الطرق دعوى المنامات ، وهذه الشيطان له فيها دور ، دعوى المنامات وأنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أيدهم على دينهم ، وبعضهم يدّعي أنه خرج عليه الصلاة والسلام من القبر وصافحهم وأيدهم بيده وقال طريقتكم هذه هي الطريقة الصحيحة ، ومثل هذه الطرق التي يروجون بها الباطل على العوام .

رأيت مرة كتاباً فيه من الأباطيل والأدعية الباطلة والشركيات الشيء الكثير وفيه طلاس وأمر غامضة غير واضحة، فنظرت في هذا الكتاب قلت من يقبل هذا الكتاب! ما أتصور أن أحداً يقبل هذا الكتاب ، ثم لما وصلت إلى نهاية الكتاب وجدت مؤلفه قال: -وهذا الكلام قاله من أجل أن يروج كتابه- يقول: "لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ترددت في نشره فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي لماذا هذا التردد! أنشر الكتاب ، وحثني على نشره ورغبني وقال لا تتأخر، يقول ثم جاءني في نفس المنام أبو بكر وجاءني عمر وجاءني ... فوجدت أنه لا بد أن أنشر الكتاب" . العوام عندما يقرءون مثل هذا الكلام تكون هذه عندهم بمنزلة متفق عليه رواه البخاري ومسلم يأخذون الكتاب برمته ؛ هذه طريقة في ترويج الباطل على العوام والضحك على السفهاء والجهال ، والعوام مساكين ليس عندهم نقد ، وإذا جاءهم مثل هؤلاء وافتروا عليهم مثل هذه الافتراءات روجوا عليهم الباطل بيسر وسهولة .

فالشاهد أن من الجاهلية التي كان عليها المشركون الأول أنهم ينسبون باطلهم إلى الأنبياء ، وهذه الجاهلية موجودة عند أصحاب الضلال وأصحاب الطرق الباطلة ينسبون باطلهم إلى الأنبياء ، ويدّعون أن هذا هو الذي جاءت به الأنبياء ؛ فيجب على المسلم أن يكون في حيطة وحذر من ذلك .

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة عشرة: تناقضهم في الانتساب ؛ ينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك إتباعه .

وهذه من عجائب هؤلاء ، والباطل دائماً متناقض وأهله متناقضون ، فمن جاهلية هؤلاء تناقضهم ، ومثل المصنف رحمه الله لتناقض هؤلاء بمثال قال: «ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم عليه السلام مع إظهارهم ترك إتباعه» ؛ فهم في الظاهر يدعون أنهم على ملة إبراهيم وأنهم أتباع لإبراهيم الخليل عليه السلام ، لكن في واقع الأمر وحقيقة العمل هم ليسو على ما كان عليه إبراهيم الخليل عليه السلام .

فيذاً الخصلة الأولى في المسألة السابقة: «ينسبون باطلهم إلى الأنبياء» ، وهذه خصلة أخرى من خصال هؤلاء : «أنهم متناقضون ينتسبون إلى الأنبياء ويناقضون ما تدعو إليه الأنبياء». إبراهيم الخليل كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، وهؤلاء أهل شرك وباطل .

ثم سبحانه الله!! من طرائق الترويج التي كان عليها المشركين -وهو له تعلق بالمسألة السابقة- النبي عليه الصلاة لما دخل مكة فاتحاً وكسّر الأصنام بيده وتلا قول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ، لما أراد أن يدخل البيت كان البيت الكعبة بيت الله كان في داخله أصنام كثيرة جداً فما دخل عليه الصلاة والسلام وأمرهم أولاً أن يخرجوا الأصنام وأن يكسروها التي داخل الكعبة ، فدخلوا وبدأ يكسرون الأصنام ووجدوا منها صنمين ووضعتا على صورة إبراهيم وإسماعيل -بدعوى هؤلاء- وفي أيديهما الأزلام وفي أيديهما الأزلام ، فلما ذكروا ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام برأ إبراهيم وإسماعيل من ذلك قال: ((والله ما استقسما بالأزلام قط)) ، برأهما من ذلك فوضعوا الأزلام . الآن لما توضع الأزلام في يد إبراهيم وإسماعيل في تلك الأصنام التي على صورتها ويأتي الجهال من الناس ويرونها في أيديهما يعتقدون أن هذا من دين إبراهيم ؛ هذه طريقة في ترويج الباطل ونسبة الباطل إلى أنبياء الله ورسله . على كل حال كل ذلكم من الجاهليات التي عليها هؤلاء.

المسألة الأخيرة وهي : «التناقض في الانتساب» هذه أيضاً موجودة في الناس إلى هذا الزمان ، تجد من الناس من ينتسب للسنة بل أحياناً ترى كتاباً مكتوب على غلافه «عقيدة أهل السنة» ثم تدخل في الداخل ترى ضلالات وبدع! فالانتساب إلى السنة أي سنة النبي عليه الصلاة والسلام لكن الحقيقة شيء آخر !

وكلاً يدعي وصلاً لليلي وما ليلي تقر لهم بذلك

فالدعوى رخيصة ولا قيمة لها ، ولهذا حسم النبي عليه الصلاة والسلام أو حُسم هذا الأمر غاية الحسم بقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] هذا هو المحك وهذا هو المقياس ؛ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ، أما مجرد الدعوى ! الدعوى من أرخص ما يكون وأسهل ما يكون ؛ أن يدعي الإنسان لنفسه أنه يحب الله أو أنه من أولياء الله أو أنه من أتباع الأنبياء هذه دعوى سهلة ، فجعل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ليمتحن الناس أنفسهم على ضوئها ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ لا يكفي مجرد الدعوى ، لو كانت الدعوى كافية ماذا قال إخوان القردة والخنازير؟ قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ

وَأَحِبَّاهُ ﴿[المائدة: ١٨]﴾ هكذا قالوا ، فالدعاوى رخيصة جداً وسهلة على كل لسان ، لكن الدعاوى إذا لم يُقم عليها بينات أهلها أدعياء ، ليس الشأن أن تحب ولكن الشأن أن تُحب أن يحبك الله ، والله سبحانه لا يحبك بمجرد الدعاوى ((ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه الأعمال)).

قال رحمه الله تعالى :

التاسعة عشره: قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم؛ كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه من جاهليات المشركين وأهل الضلال والباطل قال : «قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم»؛ يقدح في الصالح أوفي العالم بفعل بعض المنتسبين إليهم ، وقد يكون في بعض الأتباع والمنتسبين أنواع من الخطأ وأنواع من الزلل لا يتحملها إلا المخطئ نفسه؛ فهذه من الجاهلية التي كانت عند هؤلاء أن يقدحوا في الصالحين بفعل بعض الأتباع ، أي بوقوع بعض الأتباع ببعض الأخطاء فينسبونها إلى الصالحين .

قال: «كقدح اليهود في عيسى» من أجل بعض الأتباع ، «وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم» أيضاً من أجل بعض الأتباع ، إذا وجدت بعض الأخطاء في بعض الأتباع نسبوها إلى الصالحين ، والله جل وعلا أبطل ذلك بقوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأعام: ١٦٤] ، لا يحمل الإنسان أخطاء الآخرين ، وإذا بين ونصح ووعظ أدى الذي عليه ، قد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ، قال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] ، النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية الناس ولكنه بين البيان المبين الواضح ، ووفق الله عز وجل صحابته الكرام فاتبعوه واتبعوا النور الذي جاء به عليه الصلاة والسلام وكانوا أئمة هدى ومنارات حق.

فعلى كل حال من الأشياء التي كان عليها أهل الجاهلية: محاولة التشكيك في الأنبياء أو في العلماء أو غيرهم بسبب بعض الأخطاء التي قد تكون في بعض الأتباع.

نكتفي بهذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .